## المحور العاشر: مراحل الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم

يعتبر القضاء على قرطاجة عام 146 ق . م، من أبرز مظاهر السياسة التوسعية التي انتهجها الرومان ازاء شعوب البحر الابيض المتوسط. وكان لهذه السياسة جذور عميقة في التاريخ الروماني، ترجع الى القرن الخامس قبل الميلاد. وقد اتصفت الحركة التوسعية الرومانية في مراحلها الاولى بالبطء والتدرج . لكنها تسارعت مع الزمن وعظمت آثارها الاستعمارية ، ويمكن تشبيهها مجازيا على انها عبارة عن عملية ابتلاع بطيء للجيران في ايطاليا، تحول الى سرعة في الازدراد، ابتداء من الحروب البونية الاولى والثانية، حيث أدت الى مكاسب اقليمية هامة، حصل عليها الرومان خارج شبه الجزيرة الايطالية، فتمكنوا من السيطرة على شعوب البحر الابيض المتوسط الغربي بعد تحطيمهم لدولة قرطاجة في الحرب البونية الثالثة[401].

### I.اسباب الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم:

### 1. الأسباب اقتصادية:

*تراجع الزراعة الرومانية في شبه جزيرة ايطاليا بسبب الحروب التي سمحت للطبقة الغنية بالاستحواذ على اراضي شاسعة في وسط وجنوب ايطاليا، وتحول أصحاب الاملاك الصغار الى أجراء لدى الملاك الكبار إما بالإغراء او بالتراضي أو بالقوة[402].

*اختفاء المزارع الصغيرة والمتوسطة التي كانت تساهم في انتاج الحبوب وتعويضها بالزراعات النقدية والصناعية مثل الزيتون والكروم.

*إفلاس العديد من المزارع بسبب منافسة قمح المستعمرات المجاني (سردينيا اسبانيا افريقيا مصر) او زهيد الثمن كضريبة عينية[403].

*فتح أبواب نوميديا الحاجة الى موارد جديدة لتوفير المساعدات الغذائية المجانية لبطالي روما تفاديا للمشاكل التي قد تنتج عن تزايد عددهم في المدن[404].

*توسيع التجارة الرومانية ، وتتجلى مثلا في سيطرة الرومان على مضيق ميسانا"Messans" الذي يشكل همزة وصل بين السواحل الشرقية والغربية بجنوب ايطاليا، حيث يعد معبرا هاما للتجارة، وتزايد السكان وتزايد مطالبهم للكماليات من جهة اخرى[405].

*خيرات المغرب فيما يخص القمح والشعير الذي كان يوجه في كثير من المرات كوسيلة سلم مع قرطاجة ونوميديا فيما بعد[406].

### 2. الأسباب سياسية:

*توطين الجنود في المستعمرات بحصولهم على قطع اراضي في المغرب مثل ما حدث مع جنود ماريوس المسرحين بعد القضاء على يوغرطة[407].

*كسب المسؤولين شعبية في وسط العامة بتمكين الجنود من الحصول على أراضي في المستعمرات.

*سعي المسؤولين الرومان لكسب تأييد المواطنين في الانتخابات لنيلهم المناصب العليا أو المحافظة عليها[408].

*توفير الاموال للحملات الانتخابية بمكاسب مالية من الحروب التي تجبر السلطة على خوضها.

*حفظ الامن والاستقرار في روما بتوجيه العناصر العاطلة عن العمل الى المستعمرات أو توفير وجبة مجانية لها تكفيها عناء اثارة المشاكل في روما[409].

### 3. الأسباب اجتماعية:

*التخلص من العناصر العاطلة عن العمل التي يمكن ان تحدث شغبا لأنها افلست من جراء الازمة الاقتصادية[410].

*تفكيك بوادر الوحدة التي ظهرت في المغرب في محاولات سيفاكس وماسنيسا فيما يسمى سياسة فرق تسد.

*صراع الحضارات بالقضاء على اليونان وقرطاجة وفرض حضارتها التي بنتها على عاتق الشعوب المهزومة وعمدت الى تطبيق سياسة الرومنة في كل مجالات الحياة[411].

## II.مراحل الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم:

### 1. سقوط قرطاجة (146 ق.م):

بعد نقل الحرب إلى بلاد المغرب حسب ما ورد عن بعض المؤرخين، أن هدف سيبيون يتمثل في سببين رئيسيين، أولهما تقوية جانب ماسينيسا في المطالبة بحقه في وراثة العرش نوميديا الشرقية، أي الحيلولة دون وحدة نوميديا بطرفيها، أما ثاني فقد كان يتمثل في ارغام قرطاجة على دعوة القائد حنبعل من شبه الجزيرة الإيبيرية والعودة للبلاد لدفع الخطر الذي يهددها فيها.

بمجرد ان بلغ ماسنسان نبأ الحملة الرومانية على بلاد المغرب القديم اتصب بقائدها ليليوس بغية تمهيد الطريق للقنصل الروماني سيبيون ،وفعلا نزل هذا الأخير بالقرب من أوتيكا وعسكر بالقرب منها،

وقد حققت روما الكثير من الانتصارات على حساب قرطاجة، وانتهت الحرب البونيقية الثانية بمعاهدة قاسية " زاما "على قرطاجة انسحبت بموجبها من ايطاليا واسبانيا وكورسيكا وسردينيا وصقيلية وجنوب بلاد الغال، بالإضافة الى انها قامت بتسريح الاسرى وتسليم الاسطول القرطاجي والفيلة، وتعويض خسائرها بالتقسيط في ظرف 50 سنة والتزامها بعدم شن اية حرب خارجية دون مشورة روما[412].

استغل الرومان الفرصة بفشل حنبعل واسترجاع ماسنسان لعدة مدن وقرى نوميدية كانت قد ضمتها قرطاجة، وتصدي هذه الاخيرة له اعتبرته روما خرقا لمعاهدة زاما، واعلنت الحرب عليها في 149ق.م وانتهت سنة 146 ق.م بتدميرها، وقد حوّل سكيبيو أراضيها الى مقاطعة رومانية (Provincia Africa) وفصلها عن باقي الاراضي النوميدية بالخندق الملكي (Fossa Regia)، فكانت اولى مراحل الاحتلال التي جعلت روما تضع أقدامها في المغرب بعد ان قضت على سيدة البحر الابيض المتوسط وحلت محلها[413].

### 2. احتلال نوميديا (46 ق.م):

ازاحة قرطاجة بنهاية لحرب البونيقية الثالثة فتح أبواب إفريقيا أمام روما، ولكنها انتهجت في ذلك سياسة التوسع التدريجي، وقد استغل الزعماء الرومان السياسيون والعسكريون طموح الملوك والأمراء الأفارقة المتصارعون، وسعيهم لكسب المساعدة من أصحاب السلطة في روما لتقوية نفوذهم، كما زرعت

خلافات وعداوة بين الملوك والامراء الأفارقة ،تنفيذا لمبدأ فرِّق تسد خدمة لمصالحها، فكان الملوك والامراء الأفارقة اتباعا لروما يستجيبون لإرادتها، ابتداءً من مكيبسا وابنيه وحتى يوغرطة في البداية، فقد تصرف أبناء مكيبسا وكأن نوميديا مقاطعة رومانية وهم وكلاء روما فيها[414]، كما جاء في خطبة يوغرطة في مجلس الشيوخ الروماني "بأنه وكيل لروما ذات السلطة في مملكة نوميديا" حتى أن روما أرسلت لجنة أشرفت على تقسيم نوميديا بعد موت والدهم مكيبسا فنال كل منهم القسم الخاص به[415].

ولم يبقى الحال كما هو عليه طويلا فسرعان ما قاد يوغرطة مقاومة ضد روما، وبدأ بتصفية اخويه بالتبني الموالين لها، فكانت البداية باغتيال هيمبصال ثم محاربة آذربعل وقتله ومن ساانده من الجالية الرومانية المقيمة في المدن النوميدية، وأبرزها عاصمة المملكة قرطا التي اقتحمها وقتل فيها الكثير من الرومان[416]، الامر الذي أثار روما، فشنت عليه حربا توالى على قيادتها قادة أشداء كان آخرهم ماريوس ومساعده سيلا الذي تحالف مع بوخوس ملك موريطانيا، وألقت روما القبض على يوغرطة في خريف 105ق.م[417].

وقد عملت روما على تغيير الخارطة الجيوسياسية للمغرب القديم، بأن اقتطعت أجزاء غرب نوميديا منحتها لحليفها بوخوس، وأجزاء شرقية من نوميديا ضمتها لمقاطعة أفريكا الرومانية، دخلت بذلك نوميديا مرحلة من التدهور، فقدت بها سيادتها على جل أراضيها وأصبح مصيرها مرتبط بروما، حتى ان ملوكها كانوا بمثابة اتباع، وهو ما مهَّد لاحتلالها، كما باتت تتأثر بما يحدث في روما مثل الحرب الاهلية التي عرفتها روما في القرن الأول قبل الميلاد[418]، قامت بين يوليوس قيصر وبومبي، وقف فيها يوبا الأول مؤيدا لأتباع بومبي، فترتب عنها انتصار هذا الأخير ، وقضى على اتباع غريمه في المغرب ومنهم يوبا الأول في معركة تابسوس (Thapsus)في 46 ق.م[419].

تغيرت من جديد خريطة المغرب القديم وضمت روما نوميديا (الأقاليم الشرقية الخصبة) وأعلنتها مقاطعة رومانية أسمتها أفريقيا الجديدة (Africa Nova) وعيّن على رأسها صديقه سالوستيوس مؤلف كتاب حرب يوغرطة[420] برتبة بروقنصل، واطلقت على مقاطعة افريقيا الرومانية أفريقيا القديمة (Africa Vetus)،

ومنحت الجزء الغربي منها لبوخوس الثاني حليف قيصر وامتدت مملكته إلى وادي أمساقا (الوادي الكبير)، كما منحت إقليم الشمال النوميدي الواقع غربي مدينة قيرطا للمرتزق سيتيوس (Sitius) وجنوده الذين ساعدوا قيصر في حربه في افريقيا[421].

### 3.احتلال موريطانيا (40 م):

خلّف سقوط مملكة نوميديا على يد الرومان بعد 46 ق.م ظهور ملك نوميدي على قدر عال من الكفاءة الحربية والقوة والتنظيم جعله ذلك محط محبة الشعب له، والاهم من ذلك أنه كان رافضا للوجود الروماني يسعى لإعادة أملاك ابيه ماسنسان الثاني[422]، هو آرابيون (Arabion) ابن ماسنسان الثاني الذي كان يحكم المزاق ثورة ضد الوجود الروماني، وعلى الرغم من أنه قضى على سيتيوس وأزاح بوخوس الثاني عن الجناح الغربي من مملكة نوميديا السابقة، إلا ان ثورته قد فشلت بمكيدة أودت بحياته ووضعت حداً لطموحاته[423].

بعد وفاة بوخوس الثاني في سنة 33 ق.م بقيت مملكة موريطانيا دون وريث للعرش، ومن المرجح أن روما في البداية سيَّرتها عن طريق واليين من طبقة الفرسان، ولكنها في 25 ق.م حكّمت عليها ملكا أمازيغيا هو يوبا الثاني إبن يوبا الأول؛ فبعد القضاء على مقاومته أخذه قيصر وهو بعمر الخمس سنوات ورباه في البلاط الملكي في روما، وعندما ولّاه على موريطانيا اتخذ اسما لعاصمته "القيصرية" بدل اسم يول (شرشال) تكريما لقيصر[424]، وقد كان وفيا لروما حتى على حساب سكان موريطانيا، وقد بقي على ولاءه لروما إلى غاية وفاته سنة 23 م، حيث ساعد القوات الرومانية في إخماد الثورات التي قامت في عهده مثل ثورات الجيتول في سنة 6 ق.م، وثورة تاكفاريناس (17- 24م)، وبعد وفاته سار ابنه بطليموس على خطاه في محاربة تاكفاريناس، وظل وفيا لروما إلى ان قرّر الإمبراطور كاليغولا إنهاء وجود موريطانيا، فاستدعى بطليموس لروما وقتله وضم نوميديا في 40 م، وقامت روما بتسخيرها لخدمة المجتمع الروماني[425].

## III.توسيع حدود الإمبراطورية (الليمس):

امتازت المراحل الأولى لروما في سياستها التوسعية بالبطء والتدرج وإخضاعها للشعوب الضعيفة من اجل الكسب والسيطرة[426]، وإن كانت الحدود الشمالية والغربية للمغرب القديم واضحة، فإن الحدود الشرقية والجنوبية قد تعرضت لتغييرات كثيرة بين القرن الأول والثاني ميلادي[427].

### 1.مفهوم الليمس:

هو جهاز عسكري معقد ومرن في نفس الوقت، هو معقد في مكوناته ومرن في تطوره الدائم وتكيّفه مع مختلف الأحداث التي تعرفها منطقة المغرب القديم، وهو حد فاصل بين أراضي الإمبراطورية الرومانية وأراضي الشعوب المعادية لها، ويتكون من ثلاثة عناصر أساسية أضيفت إلى بعضها البعض تدريجياً، وهي الخندق (Fossatum) الذي تتخلله أبراج وحصون ومراكز مراقبة، وثانيا أبراج وقلاع محصنة منعزلة، وأخيراً شبكة الطرقات الاستراتيجية، وهي تمثل منطقة عازلة لا يقل عرضها في بعض الأماكن عن 60 كم مثل ليمس الحضنة، ويجدر الإشارة إلى أن الغرض من إقامة الليمس خلال القرنين الأول والثاني كان هجوميا ولكنه أصبح دفاعيا في القرن الثالث، ويتوقف تطوره على حسب شخصية الإمبراطور وسياسته التوسعية وإمكانياته المادية من جهة، وكذا حسب الخطر الداخلي والخارجي ومدى قوته من جهة أخرى[428].

### 2. الحدود في القرن الأول والثاني ميلادي:

اكتفى الرومان بالشريط الساحلي الضيق إلى الغرب من قابس عند الضفاف الشمالية لشط الفجاج، ثم يتجه شمالاً نحو قفصة وتبسة، ثم إلى شمال الأوراس وجبال الحضنة وسهول سطيف ومجانة حتى يصل إلى سور الغزلان (Auzia)، ثم تنزل غرباً إلى البرواقية ويساير وادي شلف باتجاه مليانة عين الدفلى وإلى الغرب تجتاز غليزان المحمدية وسيق وتنتهي عند مليلية ونجد منطقة أخرى خاضعة للرومان إلى الغرب من طنجة إلى سالا[429].

### 3. الحدود في القرن الثالث ميلادي:

في أواخر القرن الثاني ميلادي طرأ على خط الليمس السالف الذكر تغييرات بسبب الحركة التوسيعية التي قام بها الأباطرة جنوباً، وقد بلغت هذه الحركة أوجها في عهد الاسرة السيفيرية (193-235 م)، وذلك سعيا لتحصين ومراقبة المراكز الرومانية بهدف صد غارات القبائل الرحل التي تهدد هذه المراكز[430]، ففي طرابلس امتد جنوب سهل جفارة الذي يفصل الصحراء عن البحر، كما أقيمت حاميات دائمة في بونجم وغارية الغربية وغدامس، وإلى الغرب من قابس ضم جنوب شط الفجاج وواحتي نفطة وتوزر الواقعتين بين شط الجريد وشط الغرسة، ووضعت حاميات في نقرين بادس مليلي والدوسن، وتتوجه إلى بوسعادة وبوغار ثم يتجه إلى ثنية الحد تيارت فرندة تقريماري سيدي علي بن يوب وواولاد ميمون تلمسان ولالة مغنية، كما أقيمت المراكز الأمامية أهمها: مركز دمد قرب مسعد ومركز جميلاي، ويظهر أيضا إلى الجنوب من الرباط[431].

## IV. السياسة الرومانية في بلاد المغرب القديم:

اتسم الاحتلال الروماني لبلاد المغرب بطابع التدرج البطيء والتروي الشديد ، أما الجهاز الاداري الذي وضعه الرومان لهذه البلاد ، قد اتصف هو الآخر بنوع من التدرج ، في تحويل الانظمة الادارية التي وجدوا عليها البلاد الى انظمة رومانية محضة . كما كانت السياسة الادارية الرومانية تتصف بالمرونة[432] التي تطلبها التطورات السياسية والعسكرية في اطراف الامبراطورية ، وتقتضيها الاهداف العامة المتوخاة من الوجود الروماني في المنطقة المغربية ، وهي أهداف يمكن حصرها في العمل على تثبيت السيطرة الرومانية في البلاد ، وتهيئته النفسية المغربية لقبول الحضارة الرومانية بمختلف مظاهرها ، أي الاقبال على "الترومن " [433].

ويمكن ابراز بعض الاوجه للمرونة الادارية في الاساليب التالية :

**1- اللامركزية الادارية:**

يقصد بهذه التسمية عدم تجميع السلطة الادارية لكافة المنطقة المغربية الخاضعة للرومان في مدينة معينة، وتحت قيادة مسؤول روماني واحد ، واتباع سياسة تعتمد على تقسيم المنطقة الخاضعة الى وحدات ادارية "ولايات " مستقلة عن بعضها في السلطة ، وربط هذه الوحدات بالإدارة المركزية في روما مباشرة[434] . وذلك لتحقيق مايلي:

*- حيث هذه التجزئة تمكن حكامها من السيطرة عليها.

* - تسهيل عملية الجباية المتنوعة،

* - تركيز الجهود في اخضاع العناصر الوطنية الثائرة.

*- يخول للحكام المحليين سلطات واسعة لاتخاذ الاجراءات الرادعة السريعة دون الرجوع إلى السلطة العليا في روما.

*- قطع الأمل على الحكام الطموحين في التمرد ضد السلطة المركزية.

**2- المناطق المدنية والناطق العسكرية:**

صنف الرومان بلاد المغرب إلى نوعين من الأقاليم الادارية، تبعا لدرجة التوغل النفوذ الروماني، ومدى خضوع السكان لها.

شمل الاقليم الأول "الاداري" المدن التي مضى على احتلالها زمن طويل، وقد وضعت الولايات المدنية تحت سلطة حاكم يتمتع بالعضوية في مجلس الشيوخ، وكان اقليم قرطاجة يتمتع بهذا النوع من الحكم المدني، ثم تبعه اقليم نوميديا الشرقية منذ اعلانه ولاية رومانية جديدة عام 46ق.م.

أما الاقاليم التي كانت ماتزال ميدانيا لنشاط الحركات الوطنية المناهضة للاستعمار الروماني تعتبر مناطق عسكرية، أو ولايات امبراطورية، يشرف عليها ضباط سامون يعينون من طرف الامبراطور، ولا دخل لمجلس الشيوخ في تعيينهم. وبعد أن تستوفي المؤسسة العسكرية مهمتها، تعوض بإدارة مدنية [435].

أما عن تطبيق هذه الأساليب الادارية والعسكرية على الواقع الجغرافي المغاربي القديم، فقد تم على نحو مطابق للأهداف المرجوة منها، وذلك بمساعدة روما على خدمة مصالحها العامة وحماية ظهر الولايات الجديدة، وتحيق المصالح الاقتصادية لها.

أما عن الوضع الاجتماعي للمغاربة في تلك الفترة، حيث مميزات القوانين الرومانية المتعلقة بالوضعية الاجتماعية لسكان الولايات، يقوم على مبدأ الطبقية الاجتماعية، وقد تمثلت هذه القوانين في حق المدنية (المواطنة الرومانية) وحق اكتساب المشروعية الزوجية (اعتراف القوانين الرومانية شرعا بالزواج) وحق اكتساب كيان وسط المواطنين الرومان ( تمثل في الاسم الثلاثي الذي هو عنوان الدرجة الرفيعة )وحق الملكية، ولكن ما يمكن أن يعبر عنه بالرومنة القانونية هو الوصف الواقعي لما ترتب عنه هذا القانون الرسمي الروماني، وحتى الأفراد الذين نالوا حظا من الثقافة اللاتينية كانوا في أحسن الحالات يشعرون بأنهم رعايا لروما أكثر من أنهم رومان.

أما عن اللغة اللاتينية لم تكن غريبة عن المغاربة في القديم، وقد عرفها الساسة ضمن العلاقات التي تربطهم بروما في مختلف مجالات السلم والحرب، ولكن خلال الاحتلال كان الوضع اللغوي أعمق بكثير، فقد جاء الرومان بنظمهم الإدارية والاقتصادية ومن بين قوانينهم في شروط المواطنة الثقافة واللغة اللاتينية، وكانت المدرسة أهم أداة لرومنة الشعب.

وقد كانت الكنيسة الافريقية منذ ظهورها قد احتضنت الشعب واقتربت من معاناته، ولا ندري إن كانت الكنيسة الأفريقية بنتا لكنيسة روما أم أنها تأسست مباشرة على يد رسل المسيح فابن خلدون يذكر بأنّ التبشير بالنصرانية في بلاد البربر كان على يد بعض أولئك الرسل امتثالا لطلب المسيح الذي قال فيه : اذهبوا وتلمذوا سائر الأمم...[436].